المحاضرة الثالثة والرابعة:

تطور الأحداث بالمغرب بعد إعلان الحماية.

المقاومة المغربية بالجنوب

المقاومة المغربية بالشمال

تطور الأحداث في المغرب بعد توقيع عقد الحماية والاتفاق الفرنسي الاسباني:

- قبل الفرنسيين استقالة المولى عبدالحفيظ بعد التوقيع وولوا (المولى يوسف) مكانه, بينما ولي الخلافة عنه في المنطقة الخليفية (المهدي بن إسماعيل) وعينت فرنسا (الجنرال ليوتي) أول مقيم عام لها في المغرب.
- بدأت الاضطرابات والثورات في المغرب:

1-في عام 1912م ثار الجنود المغاربة في فاس, وقتلوا قائدهم الفرنسي, ومعه 68 ضابطا مغربيا يحملون أعلى الرتب في الجيش الفرنسي وترك الجيش ما يقارب 2000 جندي مغربي انتشروا في صفوف القبائل الثائرة بأسلحتهم الجديدة.

2-ثورة قبائل الشرارة شرق فاس وجنوب مكناس.

3-ثورة البربر وزعيمهم (الهيبة بن الشيخ ماء العينين) ودخولهم مراكش واكادير, مما جعل الفرنسيين يستعملون سلاح الإشاعات بأنه يدعو لنفسه دون السلطان وانتصروا على الهيبة في عام 1913م بعد أن أوجدوا ثغرة في صفوف أتباعه.

4-ثورة قبائل غياثة ومن انضم لهم من نازا يتزعمهم (عبدالملك الجزائري) حفيد الأمير عبدالقادر الجزائري.

5-ثورة قبائل زيان بزعامة (مح وحمو) في (خنيفرة).

وكانت خطة ليوتي في حروبه هي:

1-المحافظة على المناطق المحتلة

2-مهادنة الثوار

3-مواجهة الدعاية الألمانية في المغرب خاصة بعد دخول تركيا الدولة الإسلامية الحرب في صف ألمانيا.

بالنسبة للثورات في القسم الاسباني:

1-مقاومة الشريف محمد أمزيان 1909- 1912م:

شهدت سنة 1909م؛ اندلاع ثورة مسلحة ضد الاسبان بالريف المغربي بقيادة "الشريف محمد أمزيان"؛ استهدفت المناطق المنجمية .

2-ثورة (احمد محمد ريسولي) في إقليم جبالا عام 1913م وعقد صلحا معه واعترفت اسبانيا بحكمه لإقليم جبالا.

- في عام 1919م حاول الأسبان القضاء عليه وحاصروه في جبالا لكن ظهور الخطابي جعلهم يصالحونه ويحاولون استمالته للتعاون معهم وكانت نتيجة المفاوضات أن يخرج الأسبان من منطقته ويعوضونه عما أتلفته جيوشهم أثناء عملياتهم الحربية مقابل تعاونه معهم.

3-ثورة (الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي) الذي لقب ب(بطل الريف) أو (أمير الريف):

هو محمد بن عبدالكريم الخطابي من قبائل (بني ورياغل) ولد في (أجدير) عام 1882م وكان أبوه قاضيا فيها, فنهل من مناهل العلم النافع في تطوان وفاس بجامعة القرويين, وتعلم في اسبانيا مما أتاح له التعرف على اتجاهات الاستعمار الاسباني. وكانت المغرب تمر في مرحلة حاسمة في تاريخها فقد كانت المؤامرات تحاك حولها والدول الاستعمارية تتفق فيما بينها لضمان عدم تعارض مصالحها وأطماعها.

واستنكر التعامل مع الأجانب ومنحهم حقوق التنقيب عن المناجم في جبل (ويكش) فحاول الأسبان لما أحسوا بخطره إرهابه بالقوة بإحراق دار الأسرة في أجدير, ثم حاولوا إغرائه بالمناصب حيث عين مستشارا لدى محكمة الجنايات ثم رفع بعد سنتين إلى منصب رئيس العدل وأتاح له الوضع الاحتكاك مع الرسميين الأسبان ومع مهندسي المناجم وكان بعضهم من الألمان من الشركة التي تعاقدت على حفر مناجم جبل ويكش.

- برز والده (عبدالكريم الخطابي) في الكفاح ضد الأسبان في مليلة, ولكنه قتل مسمومًا عند أحد زعماء القبائل (عبدالسلام التفرسيتي) الذي تلقى أوامره من الأسبان.
- فخلفه ابنه (محمد) قيادة الكفاح المسلح. حيث انتصر على الأسبان في أول معاركه ضدهم (معركة أنوال) عام 1912م وكان قائد الأسبان الجنرال (سيلفستر) قائد حامية (مليلة) يريد

الزحف نحو الريف للقضاء على كل مقاومة فيه لنفوذهم وكان يزدري أهل الريف ونجح الريفيون في الاستيلاء على قمة (ابران) وكانت أول صدمة مني بها الجيش الاسباني.

(معركة أنوال 1921م)

وفي 31 يوليو 1912م تقدم الأسبان من أنوال بقوات هائلة لسحق الريفيين فأخذت مدافعهم تقصف الخنادق التي يختبئ فيها الريفيون ولم يرد الريفيون حتى أصبح الأسبان على مقربة منهم فأطلقوا خلال دقائق قليلة كل ما لديهم من ذخيرة, وحاول الأسبان التراجع نحو أنوال بعد أن ألقوا بنادقهم وذخيرتهم فانقض عليهم الريفيون بما غنموه من ذخيرة, أما الجنرال سيلفستر فقد وجدت جثته عند الجسر القريب من ميدان المعركة. وأعمل القتل في الهاربين على يد قبيلة (بني سعيد) واستولوا على الحصون التي أقامها الأسبان أثناء تقدمهم بعد أن قضوا على رجالها, واستسلم الجنرال نفارو الذي تولى الأمر بعد سيلفستر ولم يبقى معه حيا سوى 400 رجل بينما قدرت خسائرهم بحوالي 18000 رجل واستولى الريفيون على كميات ضخمة من الأسلحة المختلفة.

- وقد شبهها الأسبان بمعركة عدوة 1899م بين الأحباش والايطاليين.
- بعد المعركة أصبح الطريق أمام الريفيون سهلا إلى مليلة, لكن لم يهاجم الخطابي مليلة وهو خطأ بلا شك.
- (أسباب عدم الهجوم على مليلة):

1-عدم انضباط الجيش القبلي, وخشيته من أن يقضوا على المدنيين الأسبان في مليلة, وأن العالم كله سوف يصدم بهذه الأعمال وهو يحتاج لكسب استقلاله, تأييد انجلترا وأمريكا وغيرها.

2-كان يعتقد بأنه بهذا الانتصار سوف يقبل الأسبان بلا تردد شروط الصلح والاعتراف باستقلال الريف في مقابل ضمان امتيازات اقتصادية لهم دون إراقة المزيد من الدماء.

3-كان بحاجة لتنظيم الجيش وإقامة أسس جديدة لإدارته قبل أن يقدم على خطوة أخرى.

- عاد الخطابي إلى أجادير واجتمع مع القبائل وقرروا عام 1921م تأسيس (حكومة وطنية) تدير شئون البلاد و(جمعية وطنية) لوضع ميثاق قومي وتنظيم الكفاح المسلح. (وأهم مواثيقها):

1-الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية من حدود مراكش حتى البحر المتوسط.

2-إعلان قيام حكومة جمهورية في الريف

3-إنشاء علاقات ودية مع جميع الدول بلا تمييز, والاستعداد لعقد معاهدات تجارية معها.

4-دعوة جميع الدول إلى إقامة خدمات قنصلية ودبلوماسية لها في مركز حكومة الريف في (أجادير).

- (ترتيب حكومة الريف):
- اتخاذ علم احمر قاني طرزت فيه نجمة بيضاء وهلال اخضر رمزا للدول الريفية.
- لقب الخطابي نفسه (أمير الريف) ورفض لقب (السلطان) ورفض أن ينشئ بلاطا وعاش على البساطة وفي المنازل الريفية.
- جعل أخاه قائد للجيش, وعهد بالوزارات للمقربين كوزارة الخارجية والداخلية والمالية.
- وضع نظام الجباية والضرائب وتوزيع المياه وملكية الأرض, وأبطل عادات الثأر بوضع قانون يحل محله ويضع السلطة في يد الدولة وهو أبرز انجازاته.
- وقد افتدت اسبانيا أسراها من الخطابي بعد تردد بمبالغ ضخمة, حيث اشترى بها أسلحة وأجهزة اتصال حديثة.
- بين عام 1922م إلى عام 1924م لم تقع أية حروب حاسمة بين الطرفين.
- اقترح الأسبان حكما ذاتيا للريف, لكن الخطابي رفض ولم يقبل إلا بالاستقلال الكامل.
- في عام 1924م حين علم الخطابي بأن الأسبان سوف ينسحبون من داخل منطقتهم ويتجمعوا حول تطوان ومليلة أأخذ ينظم جيشه ووضع خطة ليحول الانسحاب إلى هزيمة ساحقة وأنزل الهزيمة بالأسبان على جبهتين لا تقل عن هزيمة أنوال. وقد ترك الأسبان حليفهم (ريسولي) حيث استسلم بعد قصف الريفيين للقلعة التي يتحصن فيها وحمل أسيراً ومات في أسره (وبهذا أصبح الخطابي حاكم الريف من مليلة إلى تطوان).

- قلقت فرنسا من نجاح الخطابي في إقامة دولة مستقلة على حدود مناطق الحماية الفرنسية فجعل ذلك الحكومة الفرنسية تتحرك لمساندة الأسبان في صراعهم مع حركة المقاومة في الشمال, وقد تورط الخطابي في حرب مع الفرنسيين بعد ذلك.

(سبب حرب الخطابي للفرنسيين):

هو بسبب تمسك الخطابي بالتقاليد الريفية والشرف ومساعدة المظلوم, حيث استنجدت به قبيلة (بنو زروال) ضد الفرنسيين, وكان الخطابي يعلم بخطر ما يفعله حيث قال (لسوف ارتكب حماقة لكن لابد لي من ارتكابها). واخذ بنجدة القبيلة مما جعل فرنسا تدعي أن الخطابي بدأ ينفذ مخططه ضدهم, حيث أن الفرنسيين عام 1924م كانوا يقيمون التحصينات في الجهات المحاذية للريف, لكن الخطابي كان يعلم أن فرنسا لن تقدم على حربه لأن هذا يعتبر خرق لاتفاقيات دولية بين فرنسا وانجلترا واسبانيا ولكنه أعطاهم فرصة للإيقاع به.

ونعلم ان الخطابي كان هدف حربه على الفرنسيين مساعدة القبيلة المستنجدة وحينما اخذ ينتصر رأى أن بالإمكان أن يتوسع في فتوحاته. وحين استولى الريفيون على 50 مركزا فرنسيا على طول الحدود وطرد الفرنسيون أمر بهجوم شامل ولم يستغل اضطراب الفرنسيين قبل أن تصلهم تعزيزات ويحاول الاستيلاء على فاس وتازة وبذا كان سيقطع الطريق الموصلة إلى الجزائر التي تصل النجدات الفرنسية عن طريقها.

وهذا خطأ ثاني:

وهو عدم سيطرته على (فاس) و (تازة) حين سادت الاضطرابات الفرنسيين وبها كان سيقطع المساعدات عن الفرنسيين.

هناك ملاحظة:

أن الخطابي لم يكن يطمع في حكم المغرب كله بل كان هدفه الأول والأخير طرد الأسبان من شمال المغرب واستقلال الريف.

- في عام 1925م أعلنت هدنة بين الخطابي والفرنسيين, في حين كانت تجري مفاوضات بين الفرنسيين والأسبان في مدريد لحرب الخطابي.
- لم يقبل الخطابي بشروط الدولتين بسبب أنها لم تعطيه الاستقلال, ولأنه مازال يعتقد بأنه قادر على النصر على الدولتين وإملاء شروطه.
- زوال الخطر عن فاس وتازة وإرسال فرنسا تعزيزات بقيادة الجنرال (بيتان) وقوات ضعف ما كان يطالب به سلفه (ليوتي) والتعاون مع الأسبان على حرب الخطابي.
- كانت خطة اسبانيا الزحف على أجادير من خليج الحسيمة والاتجاه نحو عاصمة الخطابي, ولم تضع هذه الخطوة إلا بعد موافقة فرنسا.

كان الخطابي قد قسم جيشه, قسم لمنع الأسبان من الاندفاع من مليلة, وقسم لحصار قلعة تطوان التي لم يفتحها معللا ذلك بسبب وجود الأطفال والنساء الأسبان.

- في عام 1925م نزل الأسبان في خليج الحسيمة ب 111مركبا, واخفق الخطابي في تحديد الموقع الحقيقي للإنزال وقد احتل الأسبان في وقت سابق المرتفعات التي تشرف على الأقاليم الداخلية, ونجحت اسبانيا بمعاونة البحرية الفرنسية والقوة الجوية التي ألقت الغازات السامة على الجبال في أن تستولي على الجبال المحيطة ب(أجدير) وبهذا احتل الأسبان (أجدير) بعد جلاء الريفيون عنها و التقهقر للجنوب, وانتشرت أنباء سقوط عاصمة الريف.
- في عام 1926م أعلنت هدنة وتباحث الطرفان ورفض الخطابي أن يطلق الأسرى قبل المفاوضة وانتهى المؤتمر لدروب مسدودة بشأن الاختلاف في معنى الحكم الذاتي ومضمونها, وكان يعلم أن الدولتين عقدتا الهدنة لكسب الوقت لا غير.
- وانفرط (مؤتمر وجدة) وفشلت الهدنة وبدأت الحرب, واتخذ الخطابي (ثارجيست) مقرًا بعد سقوط (أجدير).
- وضيق الفرنسيون والأسبان على الخطابي, ولم يبقى معه من المخلصين سوى 22 فارسًا فلجأ إلى قرية (سنادا) وطلب الحماية من شريفها (سيدي حميدو) والذي نصحهم بالاستسلام

للفرنسيين. فاستسلم الخطابي هو وأخوه للقائد الفرنسي (كوراب) عام 1926م وبذلك انهارت المقاومة في الريف.

- ونفي الخطابي وعائلته إلى جزيرة (ريونيون) في المحيط الهندي, حيث نقل إلى مرسيليا ثم إلى المنفى وفي طريق العودة إلى فرنسا – حيث طلب الإقامة بها – نزل في بورسعيد وطلب اللجوء إلى مصر, ووافقت على استضافته ومن معه عام 1947م ومكث الخطابي في مصر حتى مات رحمه الله تعالى عام 1963م.